بملء الصوت

. إدريس المليـــــاني* .

ألاَ مَنْ يريني غايتي قبلَ مذهبي
ومِنْ أينَ، والغاياتُ بعدَ المذاهب !
ابن الرومي

ـ ١ ـ

أقيموا
أو ارتحلوا، لي طريقي.
أنا مبتداي،
أنا منتهاي،
ولا شيء أقرب منّي،
ولا شيء أبعد عنّي.
أنا لُحمتي وسداي،
ولا شيء يُفْضي
إليَّ سواي.
أنا أول المستحيلات:
غولٌ،
وعنقاءُ مُغْربةٌ،
والوفيُّ الخليلُ.

ـ ٢ ـ

أقيموا
أو ارتحلوا، لي رفيقي.
أنا هو آخَرُ
أمشي ويمشي
أمامي
ورائي
رفيقي طريقي،
طريقي رفيقي،
ولا أفْقَ لي غيرُ نعلي.
سمائي حذائي،
حذائي سمائي،
ولا شيء لي غيرُ ظلّي
وسيجارتي وردائي.
أنا لي،
رفيقي أنا، وطريقي أنا،
وأنا لي عليَّ دليلُ.

ـ ٣ ـ

أقيموا
أو ارتحلوا، فأنا
لا أميلُ إليكم ولا لسواكم.
أميلُ إليَّ وأحنو عليَّ،
أنا بي رحيمٌ،
وقاسي الهوى والمراسِ.
سأمضي إليَّ
أطهِّرُ منكم خلاياي،
أطردكم من حواسّي
مسامّي
عروقي
دمائي،
ومن كلِّ منطقةٍ في ترابِ حياتي
وأغسلُ منكم يدي ولساني،
وأضربُ كفًّا بكفٍّ،
وأعلنُ: حرّيتي لي
من الآنَ حتى هنا.
أنا لي،
رفيقي أنا، وطريقي أنا،
وأنا سالكٌ
ومُريدٌ وشيخٌ جليلُ.

ـ ٤ ـ

أقيموا
أو ارتحلوا، لي جهاتي،
جميعُ الجهاتِ
أسير إليها
وحيداً معي في الزّحامِ
أسير ورائي،
أسير أمامي،
أسير على غير هَدْيٍ،
بطيئًا سريعًا،

* ـ شاعر من المغرب.

أسير وأَخْلع عنّي حيائي،
أسير وأَبْصق حولي
يمينًا يسارًا،
أسير وأكتبُ في مفكّرتي:
«كلّكم حُمّصٌ
وفولٌ جميعًا.»
أسير ولا أستدير
لكي لا أصابَ بعين،
أسير ولا أتطلّع إلاّ إلى كلماتي
تسيرُ تطيرُ
وتسقطُ فوق نهود النساءِ وأردافهنّ،
تُغازل هذي وتغمزُ طفلاً رضيعًا
يعَضُّ على ثديِ أخرى،
وأَضْحك ملءَ فمي
حين تَبْزقُ فوق عمامةِ شيخٍ وقورِ
يُعرّي بعينيْه جلبابَهنّ.
وأضحكُ أضحكُ أضحكُ
حتّى يَظنّ بيَ العابرون الجنون،
ويصحو على ضحكاتي
نيامُ القبورِ،
وأضحك ملءَ دمي
هازئًا بي -
أنا النرجسيُّ القتيلُ.

- ٥ -

وأذكرُ ما قال لي الحاجُّ يومًا:
«تَهَلَّ» فقط
في «الكريشا» وما تحتها.
صَدَقَ الطاهرُ الحاجُّ،
لا شيء إلاّ هُما!
يا لفرحتِيَ المطلقة؛
ليس لي لحيةٌ،
ليس لي شاربان،
ليس بي عُنّةٌ،
ليس بي شبَقُ الدّون جُوان،
ليس لي غيرُ هوّ الذي
هوّ أهلٌ لكل ثقة
وعلى ما عداهُ «فَعولُ».

- ٦ -

أقيموا
أو ارتحلوا، فأنا
قد تَبَرَّأْتُ منكم جميعًا.
سأمضي إلى سوق رأسي
الذي لا أقايضُه بكنوز السماءْ،
أحيّيه عند الصباح
وعند المساء،
أُرافقه في الذهاب
إلى أيّ ركنٍ مُتاح،
ويَصْحبني في الإيابِ
إلى دفءِ بيتي المضاءْ،
أُقبّله كلما أُبْتُ للنومِ
منتشيًا بالليالي،
أُصالحه كلما اغتاظ منّي
أو انساق سهوًا لساني
إلى مدح مَنْ يستحقّ الهجاءْ
وفي كلّ يَومٍ
أهنِّئه «بالسلامة من كلِّ شيءٍ»
كما قال جدّي الإمام -
عليه، إذن،
وعليَّ السلام!

- ٧ -

أقيموا
أو ارتحلوا
لا إليكم، ولا لسواكم، أَميلُ.
أنا آخرِ المستحيلاتِ:
غولٌ
وعنقاءُ مُغْرِبةٌ
والوفيُّ الخليلُ!

المغرب